جان بول سارتر في يوم وفاته

قصة الجدار كدليل على العبثية وسخافة الوجود

| بشار أسعد- بيلاروسيا

«الوجود يسبق الماهية فالإنسان مسؤول عما هو كائن، فأول ما تسعى إليه الوجودية هي أن تضع الإنسان بوجه حقيقته، أن تحمّله من ثم المسؤولية الكاملة لوجوده، وعندما نقول إن الإنسان مسؤول عن نفسه لا نعني أن الإنسان مسؤول عن وجوده الفردي فحسب بل هو مسؤول في الحقيقة عن جميع الناس وكل البشر».

جان بول سارتر (١٩٠٥-١٩٨٠) فيلسوف وجودي وروائي وكاتب مسرحي وناقد أدبي وناشط سياسي فرنسي. ولد في باريس في ٢١ من حزيران من عام ١٩٠٥ وتوفي في ١٥ نيسان من عام ١٩٨٠ بسبب مرض «وزمة الرئة»، وتم دفنه في مقبرة «مونبارناس» في العاصمة الفرنسية باريس. شهدت حياته العديد من الأحداث الدراماتيكية والتراجيدية فقد توفي والده الذي كان ضابطاً في البحرية الفرنسية وكان «سارتر» وقتها يبلغ من العمر ١٥ شهراً. أشرفت والدته وجدّه «البرت شوايتزر» العالم الشهير، والمبشر اللاهوتي المسيحي على تربيته وتعليمه ولكنّ جده تسبب في تعميق وحدته وانعزاليته فنجد سارتر يقول عن ذلك في مقالته «الكلمات»: «كنت أبقى في المنزل بسبب أنانية جدي وحدة موقفه الاستحواذي». عندما كان «سارتر» في العاشرة من عمره تزوجت والدته للمرة الثانية وكان سارتر ينبذ زوج أمه، ولكن رغم ذلك ذهب للعيش معهما في مدينة «لاروشيل»، وهناك بدأ سارتر في الذهاب بشكل منتظم إلى المدرسة ولكنه لم ينسجم مع زملائه من الطلاب لذلك نجد سارتر يقول عن هذه الحقبة: «حاولت أن أشتري صداقتهم فقدمت لهم هدايا دفعت ثمنها من نقود سرقتها من كيس والدتي».

في عام ١٩٢٠عاد سارتر إلى باريس ليدرس في ليسيه «هنري الرابع» الشهير ثم بعد ذلك في ليسيه «لويس الكبير».

في عام ١٩٢٤ التحق بدار المعلمين العليا وبقي فيها حتى عام ١٩٢٨ كانت الوظيفة الرئيسية لهذا المعهد هي إعداد الطلاب لامتحانات تنافسية تعرف باسم «الإجرجاسيون». كان المرشحون الذين يجتازون هذا الامتحان ينالون أجراً عالياً وساعات أقل من العمل من زملائهم الباقين.

على الرغم من فشل «سارتر» من اجتياز الامتحان في عام ١٩٢٨ لكنه كان أكثر توفيقاً في عام ١٩٢٩ وكان ترتيبه الأول بين الناجحين وفي المرتبة الثانية كانت «سيمون دي بوفوار» التي أصبحت حبيبة سارتر ورفيقة دربه ، حيث عاشا معاً من دون أن يتزوجا ولكنهما اتفقا على أن يكون كل منهم حراً في اختياراته وتصرفاته بشرط أن يتصارحا بكل مصداقية حول مختلف التفاصيل التي يمر بها كل منهما ، كما قاما معاً وبالتعاون مع الفيلسوف «موريس ميرلوبونتي» بتأسيس مجلة الأزمنة الحديثة. خدم سارتر في الجيش تحديداً في قسم «الأرصاد الجوية» كما تمّ استدعاؤه للخدمة في عام ١٩٣٩ وأصبح أسير حرب في ألمانيا النازية عام ١٩٤٠ وتم إطلاق سراحه بعد عام من ذلك. عمل سارتر في التدريس وبعدها تفرّغ للكتابة. في عام ١٩٦٤ حصل على جائزة «نوبل للآداب» ولكنه رفض وبرّر ذلك على أساسين: شخصي وموضوعي وكان يقول إنه يرفض التشريفات الرسمية والجوائز. تأثر بالفيلسوف «إدموند هسرل» وتحديداً بفلسفته الفينومينولوجية، ويبدو قول هسرل: «كل وعي هو وعي بشيء ما» خير دليل على ذلك، كما تأثر بالفيلسوف الألماني «مارتن هيدجر» الذي قال: «كل أنطولوجيا غير ممكنة إلا بوصفها فينومينولوجية». كتب العديد من الأعمال والروايات والقصص منها: تعالي الأنا موجود (١٩٣٦)، الوجود والعدم (١٩٤٣)، الوجودية مذهب إنساني (١٩٤٥)، نقد العقل الجدلي (١٩٦٠). ومن الروايات: الغثيان (١٩٣٨)، الذباب (١٩٤٣)، دروب الحرية (١٩٤٥)، سجناء الطونا (١٩٥٩). وفي مجال القصص القصيرة يبرز لدى سارتر العمل المهم الذي كتبه عام ١٩٣٩ والذي أطلق عليه تسمية (الجدار) والذي سنتحدث عنه في مقالتنا هذه نظراً لأهميته التي تتناول مواضيع ركّز عليها سارتر في جميع كتاباته وأعماله مثل: العبث، العدم، القلق، الحرية، المسؤولية وغيرها من المفاهيم التي تعيشها الروح بعد أن يُقذف بها إلى الوجود. يتناول سارتر في «الجدار» قصة ثلاثة أشخاص يتم اعتقالهم من السلطات الإسبانية أثناء الثورة التي أعلنها الجمهوريون ضد الحكم الفاشستي هناك. أبطال هذه القصة هم: بابلو إبيباتا (الراوي)، توم ستيبنوك (عضو الفرقة الدولية)، جوان مربال (الفتى). يتم استجواب هؤلاء الثلاثة على شكل محاكمة سريعة، ويتم الحكم عليهم بالإعدام بتهمة «الإرهاب» هنا يظهر الخوف على «جوان مربال» ويقول للمحققين: «إن أخي جوزي هو الفوضوي وأنتم تعرفون هذا جيداً، إنه ليس هنا. أنا لا أنتمي لأي حزب، ولم أعمل بالسياسة مطلقاً» لكن المحققين لم يعيروا كلامه أي أهمية ويقومون باقتياده مع كل من «بابلو» و«توم» إلى السجن الذي كان عبارة عن غرفة في قبو أحد المشافي، وكان بارداً جداً ذا ثقوب جانبية وفتحة في السقف يمكن من خلالها رؤية السماء. كان هؤلاء الثلاثة يعيشون حالة من الرعب والخوف منتظرين في هذه الغرفة الباردة لحظة إعدامهم الذي سيتم تنفيذه غداً. بعد فترة يحضُر الحراس ومعهم طبيب بلجيكي ليقضي الليلة مع هؤلاء المعتقلين الثلاثة ويخفف عنهم آلامهم. يقول بابلو واصفاً حالته: «كنت مبتلاً بالعرق. في خضم الشتاء، وفي مجاري الهواء، كان العرق يتصبب مني ليس خوفاً من الموت بل لكوني صرت أشعر منذ الآن بالآلام في عنقي ورأسي» كما يروي بابلو حالة «جوان الفتى» الذي يسأل الطبيب: هل سيكون الإعدام مؤلماً؟ هل سيقومون برشة ثانية إن لم تكن الأولى ناجحة؟ وكيف حاول الطبيب البلجيكي تهدئة «جوان» وقال له: ليس مؤلماً، وكل شيء سيتم بسرعة. كان «جوان» يرتجف ويرتعش وكانت حالته هي الأسوأ. يتحدث بابلو عن «توم» الذي تظاهر بأنه ليس خائفاً من الموت ولكن هذا لم يمنعه من التبول اللإرادي في ثيابه ما يعكس واقع حاله. كان الجدار (البطل بالمعنى السلبي للبطل) بطلاً من أبطال هذه القصة على الرغم من كونه غير موجود واقعياً، إلا أن كلاً منهم كان يتخيل كيف سيراق دمه عليه عند تنفيذ حكم الإعدام بهم غداً. هنا يعرض سارتر طريقة تفكير كل منهم، ودور الفروق الشخصية والعمرية بينهم في تحديد انفعالاتهم وتعايشهم مع الحالة التي وجدوا أنفسهم فيها. يسألهم الطبيب البلجيكي إن كانوا يريدون ترك رسائل لأحد ما، ولكنهم يجيبون بالرفض. في اليوم التالي حضر الحراس فنادوا على «توم» و«جوان» الذي صار يركض كالمجنون في الغرفة ويقول: «لا أريد أن أموت» رغم ذلك يأخذه الحراس حملاً ويقومون بإعدامه هو و«توم». يفاجأ «بابلو الراوي» لماذا لم يقوموا بإعدامه مع أنهم حكموا عليه بالإعدام فيقومون بنقله إلى غرفة يوجد فيها اثنان من المحققين ويقومان بسؤاله: أين ريمون غري؟ يجيبهم «بابلو» لاأعرف. يقولون له: سنضعك في غرفة الغسيل لبرهة من الوقت اجلس وفكر، إذا قلت لنا أين هو سنطلق سراحك وإذا خدعتنا فستلقى مصيراً سيئاً. أعاد الحراس «بابلو» وسأله المحققون مرة ثانية: أين ريمون غري؟ قرر بابلو أن يخدعهم وقال لهم: «أنا أعرف أين هو ، فهو مختبئ في المقبرة، في قبو صغير، أو في كوخ الحفارين». كان بابلو يعتقد أنه سيعذبهم ويهزأ بهم وتخيّل كيف سيعذبونه عندما يعودون ولا يعثرون على الثائر «ريمون غري». عاد الحراس ووضعوا «بابلو» في الساحة الكبيرة تمهيداً لإطلاق سراحه، وهناك فجأة التقى «غارسيا» الذي كان يعمل خبازاً. قال غارسيا: لم أكن أفكر بأني سأراك على قيد الحياة. أجابه بابلو قائلاً: لقد حكموا عليّ بالإعدام، ومن ثم غيروا فكرتهم ولا أدري لماذا. قال له غارسيا: لقد غادر ريمون غري بيت عمه حيث كان يختبئ وكان يريد أن يختبئ عندك لو لم يتم القبض عليك، ولهذا ذهب واختبأ في المقبرة.

في المقبرة؟ سأل بابلو.

أجاب غارسيا: نعم. وجدوه في كوخ الحفارين فأطلق النار عليهم، ولكنهم أردوه. يتعجب ويصاب بابلو بالدهشة.

يقول بابلو: «كنت أشعر بالخجل بقوة»، «إلى حد أن الدموع سالت في عيني». بعد هذا العرض لقصة الجدار تقول لسارتر التالي: رغم أنك ترى «أننا محكومون بالحرية» ، وأن الحرية هي مسؤولية فعندما نقوم بالاختيار فإننا نختار ليس لأنفسنا فقط وإنما للوجود أجمع. هل اختار بابلو حريته؟ نعم اختارها. فهو باختياره التهكم من المحققين اختار الحرية وغاب عن ذهنه أنها مسؤولية، لكن كيف سيتعايش مع هذه الحرية التي تحققت له بفعل الخيانة غير المقصودة والتهكمية والعبثية ما تسبب بمقتل صديقه الثوري ريمون غري؟ كيف يمكن للذات أن تفهم وجودها إذا كانت تجعل من البطل جباناً يركض ويبكي؟ كيف سيكون شكل العالم من دون هذا الآخر الذي بسببه أشعر أن حريتي قد سلبت مني، ومن دونه لا حرية لي؟ يبدو لي الآن بوضوح أني أتنفس مقولة سارتر العظيمة: «الآخر هو الجحيم».

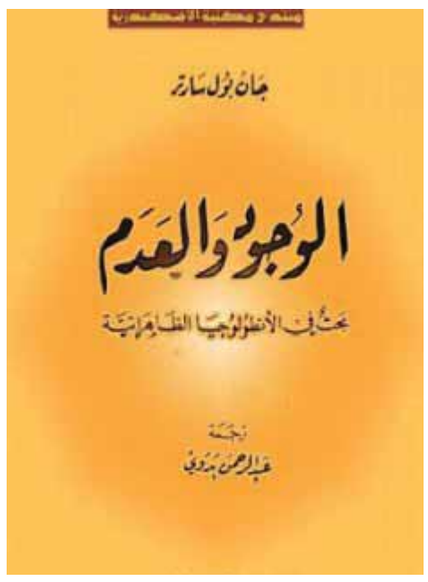

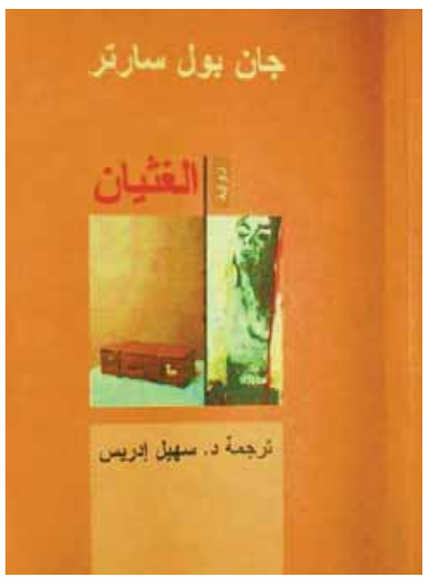

> كيف يمكن للذات أن تفهم وجودها إن كانت تجعل من البطل جباناً يركض ويبكي؟

السياسي والتاريخ

هذه الطغمة من السياسيين الإرهابيين فاسد حد العظم

| د. رحيم هادي الشمخي

التاريخ سجل الحضارات والأمم، التاريخ سجل الشعوب وإنجازاتها ومآثرها، التاريخ سجل القادة الأفذاذ وبصماتهم المشهودة على هذا السجل الخالد وإنجازاتهم وخدماتهم لشعوبهم، التاريخ سجل الرؤساء والملوك والأمراء وقادة الجيوش وقادة المعارك الكبرى التي غيرت التاريخ وغيرت حياة الأمم والشعوب، التاريخ سجل إنجازات العلماء والشعراء والأدباء والحكماء والأطباء والأكاديميين والفنانين والرياضيين، والتاريخ سجل صحيفة الأشخاص المؤثرين تذكر فيه أعمالهم وإنجازاتهم ومآثرهم وخلعاتهم التي قدموها لشعوبهم وللإنسانية، والتاريخ سجل صحيفة الأمم يذكر فيه إنجازات الأمة وتراثها وأعمالها المشهودة وما قدمته للإنسانية من إنجازات خالدة.

وفي المقابل التاريخ لا ينسى الحكام والقادة الطغاة والمجرمين والظَلَمة والمتجبرين والدكتاتوريين والخونة، فهو يخلد مثالب السيئين والمجرمين والظَلَمة والخَوَنة منهم.

وبعد هذه المقدمة البسيطة أتوجه بالسؤال إلى السياسيين في بعض الأقطار العربية الذين شوهوا صورة الحكم في بلدانهم وسمحوا للإرهاب الداعشي ومن معه بتمزيق أوطانهم وتعاونوا مع الممثل الأميركي بالهيمنة على ثرواتهم وتدمير حضارتهم، هؤلاء السياسيون المنضوون تحت راية الإسلام السياسي والسلفي أو غير ذلك من الفاسدين، هل فكروا بالتاريخ، وماذا سيكتب عنهم؟ هل فكروا بتاريخهم وتاريخ عوائلهم؟ هل فكروا بإنجازاتهم لبلدانهم وخدماتهم لشعوبهم؟ وما هي هذه الإنجازات والخدمات؟ هل قاموا بمآثر معينة تخلد أسماءهم ومآثرهم ويذكرها التاريخ في سجلاته؟ وهل عرفوا أن التاريخ لا يرحم ولا يخفى عنه شيء مهما حاولوا إخفاءه وطمسه؟

والجواب واضح، فهؤلاء ليسوا بقادة ولا سياسيين ولا حكماء ولا مجربين حتى يحسبوا حساب التاريخ، ويحسبوا حساب الحفاظ على أوطانهم وعلى هويتهم وتراثهم العربي وحضارتهم وقيمهم القومية، هؤلاء السياسيون قد كرهتهم شعوبهم لأنهم مدوا أيديهم السوداء للأجنبي وأدخلوه إلى بلدانهم ليحصلوا على منصب فاسد مقابل تطوعهم لأميركا و«إسرائيل» والطابور الخامس، ووكالة المخابرات الأميركية، وشاركوا في جلب الحرب على سورية والعراق واليمن وليبيا وكل أقطار الوطن العربي.

هل يقول التاريخ إن من لبس منهم لباس الدين، يخدع البسطاء والسذج من الناس، ويسرق باسم الدين الإسلامي، ويقتل باسم الدين، ويفتي باسم الدين، ويستولي على مليارات الدولارات من أموال شعبه باسم الدين، ويؤسس الشركات العملاقة باسم الدين. هذه الطغمة من السياسيين الإرهابيين فاسدون حدّ العظم، ماذا يقول التاريخ عنهم؟ إنهم لصوص قذرون (لم يشهد تاريخ بني أمية، ولا بني العباس، ولا بني عثمان أسوأ وأحقر من هؤلاء السياسيين العرب).

فماذا يقول هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالسياسيين للتاريخ الذي فتح لهم سجلهم الأسود في الدنيا، فيه كل جرائمهم وموبقاتهم؟ وماذا يقولون لرب العباد عندما تآمروا واتفقوا مع أميركا لتدمير أوطانهم، وعندما يقفون بين يديه وسجلهم الأسود في الآخرة في شمالهم وفيه كل ذنوبهم وسرقاتهم وكذبهم وخداعهم ورياؤهم وخيانتهم لأمتهم العربية؟

هذا هو التاريخ سيقول كلمته الفصل.

أغاليط من التاريخ.. أرقامنا ليست هندية

أحمد المفتي: نواجه هجوماً شرساً على تراثنا ومعتقداتنا وتاريخنا

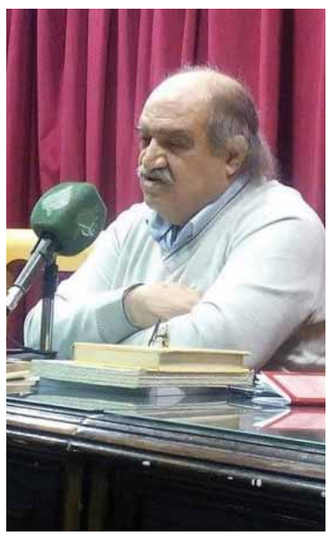

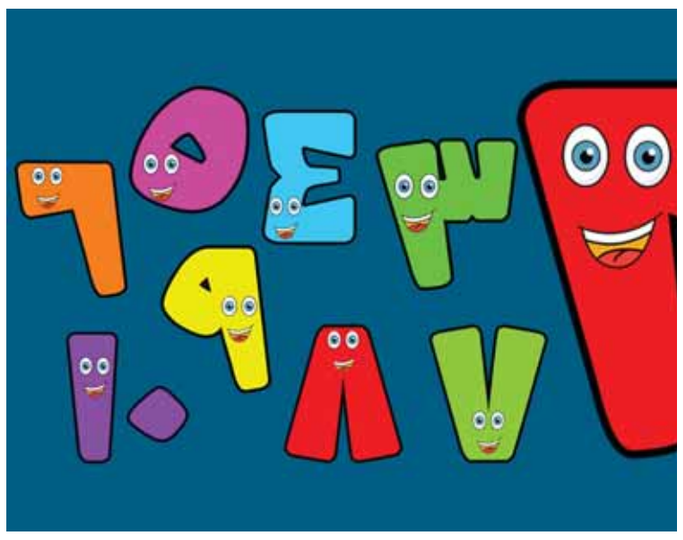

| وائل العدس

قبل أن يغيب لما بعد شهر رمضان المبارك، قدم الباحث الدكتور أحمد المفتي محاضرته الرابعة بعنوان «أرقامنا ليست هندية» ضمن سلسلته الشهرية «أغاليط من التاريخ» التي اعتاد تقديمها شهرياً في ثقافي أبو رمانة بدمشق.

ولأننا تعلمنا في مدارسنا أن أرقامنا المشرقية هندية، فإن المفتي ألقى تفصيلاً وضح فيه أن أرقامنا لا علاقة لها بالأرقام الهندية من قريب ولا من بعيد، خاصة أن معظم المواقع العربية تنشر المعلومة الخاطئة بأنها هندية من دون الرجوع إلى أصل الحقيقة المفاجئة التي خالفت كل المعتقدات القديمة.

وأكد أنه منذ الحضارات السحيقة استخدم البابليون الأرقام، وقد أخذ الهنود عنهم طرائقهم في النظام العشري ولم يأتوا بجديد.

القرآن الكريم

وقال إن العرب كانوا يستخدمون الأرقام من خلال الأبجدية العربية على طريقة «أبجد هوز حطي كلمن»، ولو أردنا أن نزور جامع الشيخ محيي الدين ابن عربي ونظرنا إلى تاريخ بنائه، نلاحظ على أسكفة الباب بعض الأبيات الشعرية فنقرأ «سليم بنى لله خيراً ومسجداً وقد قيل في تأريخه خير جامع»، ولو جمعنا أحرف أول كلمة لوجدناها تشير إلى تاريخ البناء ٩٢٤.

وأضاف: حينما بُعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم كان الكتاب العربي الأول، فالعرب لم يعرفوا كتاباً سوى القرآن الكريم الذي حفظ في الصدور وكتب في السطور منذ اللحظة الأولى، لأنه كان أمياً فقد اعتمد الرسول الكريم على مجموعة من الكتّاب، لكن الحرف العربي في تلك الفترة لم يحمل شكلاً ولا إعراباً ولا نقطاً، لذلك كان القرآن في البداية منذ القرن الهجري الأول عبارة عن مجموعة آيات يفصل بين السورة والسورة فراغ، لأن البسملة واسم السورة ليسا من القرآن، أما الترقيم فلم يكن موجوداً وقتها في تلك الفترة الزمنية، لذلك نجد في المصاحف الأولى حرف الهاء بعد كل ٥ آيات، وحرف الياء بعد كل ١٠ آيات، وحرف النون بعد كل ٥٠ آية، وقد نزل القرآن وحُفظ خمساً خمساً.

وبيّن أنه في زمن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور كان هناك أربعة علماء، الخليل ابن أحمد الفراهيدي وابن المقفع وأبو حنيفة والفزاري الذي وضع أشكال الأرقام المشرقية.

قصة الأرقام

وتعود قصة الأرقام العربية إلى عام ٧٧١ م عندما وفد إلى بلاط الخليفة العباسي المنصور فلكي هندي، ومعه كتاب مشهور في الفلك والرياضيات هو «سدهانتا» لمؤلفه براهما جوبتا الذي وضعه في حوالى عام ٦هـ/ ٦٢٨م واستخدم فيه الأرقام التسعة. وقد أمر المنصور بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية، وبأن يؤلف كتاباً على نهجه يشرح للعرب سير الكواكب، وعهد بهذا العمل إلى الفلكي محمد بن إبراهيم الفزاري، الذي ألف على نهجه كتابا سماه السند هند الكبير واللفظة «سند هند» تعني باللغة الهندية «الخلود»، ومنه رأى الفزاري أن الهنود يستخدمون أشكالاً ورموزاً للأرقام فابتدع الشكل الذي نكتب به نحن، بمعنى أننا لم نأخذ عن الهنود شكل الرقم وإنما فكرة رمز الرقم وشكله، ولو عدنا إلى تلك الفترة الزمنية واطلعنا على اللغات السنسكريتية والهندية القديمة والحديثة فإننا نجد الأرقام تختلف اختلافا كبيراً عن الأرقام التي نكتبها نحن وعن الأرقام التي استخدمها الهنود، لذلك فإن الشكل الذي نكتب فيه ابتدعه الفزاري ممهداً الطريق للخوارزمي، وهي أرقام عربية أصيلة وضعها عربي ابن عربي ولا علاقة للهنود بهذا الشكل ولا بهذا الرمز، والهنود كانوا يكتبون أرقامهم من اليسار إلى اليمين ونحن نكتبها من اليمين إلى اليسار.

وختم محاضرته بالقول: نواجه هجوماً شرساً على تراثنا ومعتقداتنا وتاريخنا وكل من نحمله من حضارة ليحطموها بأشكال مختلفة، ولذلك نجد دول الخليج والمغرب العربي يستخدمون الأرقام الفرنجية في صحفهم ومجلاتهم وكتاباتهم، والدعوات التي تلقاها لكتابة الرقم الفرنجي دعوى باطنها فيه العذاب وظاهرها فيه النعيم.

> علي المبيض: الثقافة هي الحاجة العليا للبشرية وقد تجسدت في هذه الندوة

أهداف الوزارة

وفي تصريحه لـ«الوطن»، قال معاون وزير الثقافة علي المبيض: إن الندوة تندرج ضمن أهداف وزارة الثقافة بنشر المعرفة وتوسيع دائرة المعارف والمهارات، وهذا ليس حكراً على النخبة فقط، بل تهم كل فرد، خاصة أن القاعدة الرئيسية تقول إن الثقافة هي الحاجة العليا للبشرية، وقد تجسدت مثل هذه الندوات. وأكد أننا منذ الصغر تعلمنا أن أرقامنا هندية، لكن الباحث ساق لنا أدلة وبراهين ووثائق تبين أنها عربية ولكنها أخذت فكرتها من الهند، وهي معلومة مهمة جداً لتصحيح الأغاليط التي درجنا عليها.

أحمد المفتي

يشار إلى أن أحمد المفتي أديب وشاعر ومؤرخ وخطاط وباحث في التراث العربي والإسلامي، وأستاذ في كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق، وأستاذ في معهد الفنون التطبيقية، وأستاذ في معهد الآثار في جامعة دمشق، وإعلامي ومخرج ومؤلف للعديد من الأفلام الوثائقية.

درس الخط والفن على يد خطاط بلاد الشام بدوي الديراني، وطوّره على يد حامد الآمدي في إسطنبول، ويعتبره الكثيرون آخر الخطاطين العظماء.